صوت الريح

«كنتُ أريدُ أن أكون ساحرة، تماما كما تمنى هرمان هسة، لكن قوىً كثيرة عارضت ذلك.. وبدا الحل الصعب هو التسوية مع الواقع. ساحرا يجعلُ أشجار التفاح تثمرُ في الشتاء، ويملأ محفظته بالذهب والفضة، أو يجعل نفسه خارج مجال الرؤية، بينما كنتُ أرغبُ بالدخول إلى ذاكرة الناس واقتناص حكاياتهم، فأكثرُ الأشياء رعبا بالنسبة لي، أن يكون بحوزة الناس حكايات لم يُفصح عنها بعد.

عندما أصبح هيرمان هسة كاتبا أدرك أنه تخفى حقا وراء شخصياته، ومتأخرا تأكدتُ أنّ الحكايات بطريقة أو بأخرى تحت سلطتي عبر خاصية الكتابة.

كانت البداية مع نوف التي كانت تمنعُ جسدها من التفتح فتخسر العرسان تباعا. ثم صارت سارة تدفنُ شتائم جدتها، ومن بعدهما جاءت فتحية لتربكني بتلك الخشية من الصورة المعلقة في غرفة المعيشة، بينما لا تتخلى ربيعة عن الركض أبدا، لأنّ «التخلي» مرّة بعد أخرى جعلها لا تكاد تعرف نفسها. تهاني لا تحبُّ بناتها اللواتي سرقن أباهن منها، وريّا الفلّاحة لم ترسل الدمع في وداع «الخصْب»، أمّا عليا فتُخبئ رسائل آليخاندرو وآَناكرستينا لأن أمّها ضد الذاكرة. بينما كانت زبيدة ترفضُ أن يجفَّ بئرُها لكي لا تصبح كعمتها مزنة الذي جفت قصائدها بسبب الزهايمر.

كنتُ صدقا لا أعرف ماذا تريد مني هذه النسوة الثمان، ولماذا يتناسلن بهذه الصورة المتسارعة والباعثة على القلق. بدأن في مُطاردتي في المطبخ، في المكتب، في غرفة النوم. كان لديهن الكثير ليقلنه لي على ما يبدو.

حصل ذلك في وقت كنتُ أتدربُ فيه على الكتابة كما تفعل أليس مونرو. ورشة صغيرة تخصني أنا وتلك الكاتبة اللعينة التي أغرمتُ لها حقا، وبالطريقة التي تكتبُ بها، ما اصطلح عليه النقاد «الواقعية النفسية»، كان يُمكنها أن تُمرر عواطف عاصفة دون أن تقول لنا أنّها عاصفة. تُمرر الحزن والشقاء

هدى حمد

والقلق، دون أن تضطر لقوله. هكذا كما تقول آني إرنو: «ليست وظيفة الكتابة طمس جرح أو علاجه وإنّما إعطاؤه معنىً وقيمة وجعله في النهاية شيئا لا يُنسى». هذا حقا ما أؤمن به إعطاء التفاصيل الصغيرة واليومية معنىً جديد..

كتبتُ كلّ سندريلا من السندريلات الثمان على حدة. وهبتها وقتي واهتمامي، محبتي وغضبي. تغير شكل الرواية لأكثر من مرّة إلى أن استقر على الشكل الذي يبدو عليه الآن. قد يكون ما يتغير هو قليل الأهمية للقارئ العام، ولكنه بالغ الحساسية بالنسبة لي على الأقل. فكما تقول مارجريت دوراس: «القصص كثيرة في أغلب الأحيان، ولكن نادرا ما تكون هنالك كتابة».

وأكثر ما أرهقني أنّهن كن يُطاردنني بصورة لا يمكن لأحد أن يتصورها. إنّهن راغبات في الحياة والحكي على حد سواء. ولم تتورع إحداهن عن دخول أحلامي والتدخل في التفاصيل التي لم تعجبها. في لحظة ما، قلتُ في نفسي لقد تورطتُ حقا، وكان عليّ أن أبالغ في الحيطة والحذر منهن.

في لحظة أخرى، كان عليّ الأخذ بتلك النصيحة العميقة والصادرة عن محترف غومبروفيتش، لأعيد التفكير بالكتابة الروائية على نحو جيد، فعلى الروائي أن يقرن عربة الرواية بحصان بريّ يُدعى النشوة، إلى جانب حصان مروض يُدعى الإدراك»، فالإدراك والوعي بالكتابة مُهمان جدا ولكنهما لا يُقللان قيد أنملة من قيمة النشوة والمغامرة في غمار الأشكال والمواضيع. لمحاولة إضفاء علامة خاصة وفريدة على الأحداث المألوفة، لتغدو على نحو ما حدثا لا يُنسى.

حكاية السندريلا، سواءٌ أكان أصلها شعبيا صينيا، أو فرنسيا بعد أن كتبها شارل بيرو، تعدُّ من أقدم الحكايات الخرافية. وكما أشار ابراهيم العريس في مقال مُهم عن حكاية السندريلا، تعتبرُ الأكثر شهرة في الأرض قاطبة، وتُقرأ في مئات اللغات، وبالكاد تجد من لا يعرفها.

عُمان عُرفتْ أيضا بالجنيات منذ أزل بعيد، وكم سمعتُ من حكايات الجنيات في خلوات القرية ولياليها المُقمرة، وأنا لا أميل كثيرا لأن يغدو الأمر مُرتبطا بالخرافة، أو بالتخلف والرجعية قدر ما أني أميل إلى أنّ المُخيلة العُمانية خصبة ومُنتجة للحكايات المُخاتلة. منذ أن كنتُ بنتا صغيرة وأنا مُعبأة بهذا السحر الخاص والفريد من نوعه، وربما لم يتمكن الأدب العُماني غالبا من القبض على فتنته، أعني كما حدث في الأدب اللاتيني الذي أنتج «الواقعية السحرية».

وما أن تغيرت الحياة حتى اختفت الجنيات من حكايات الجدّات. كنتُ أفكرُ إن كنّ -أي الجنيات- انسحبن من حياتنا، فأين ذهبت قواهنّ، ثم تساءلت ماذا لو أنّ هذه الطاقة خرجتْ وأصابتْ النساء القابلات للتحول. كما حدث للسندريلا الأصلية.

جاءت الساحرة إلى سندريلا وهي مُنكبة على الأعمال المُضنية، لتتيح لها فرصة التحول عبر ارتداء أحلى الثياب والمجوهرات، والحذاء الزجاجي، بينما ساحرات مسقط مُختبئات وينتظرن نساءً قادرات على التحول وراغبات بذلك بقوة.. حتى وإن كنّ لا يفعلن ذلك إلا عبر الحكي المستمر.

«الجنيات هجرنَ مسقط منذُ أن أصبحت مُضاءة بالكهرباء، ومنذ أن تجمد الناس في منازلهم الإسمنتية، وأصبح هدير مكيفاتهم وأصوات التلفاز أعلى من أصواتهن. لكن حتى وإن افترضنا جدلا بأنّ جنيات مسقط متْنَ جميعا، أو اختبئنَ بخجل، لأنّ أحدا لم يعد يستعينُ بهنّ أو يفكر بأوجاعهن في تلك العزلة، فإنّ تلك القوى الخارقة للتحول لا محالة موجودة في مكان ما، وكثيرا ما كانت تُعين السندريلات على التحول»، أو هكذا تشير الرواية ضمنا.

وما إن تدق الساعة الثانية عشرة حتى تتذكر السندريلا الأصلية الوعد الذي قطعته للساحرة، فتركض عائدة فتسقط منها فردة الحذاء التي يلتقطها الأمير، بينما في سندريلات مسقط لا تسقطُ أحذيتهن بل تسقط أعباء الحكايات الثقيلة ليتمتعن بالخفة.

ونقلا عن مقال ابراهيم العريس المُهم عن قصة السندريلا، يشير إلى أنّ الباحث برونو بتلهايم، يجد أنّ رمزية الحذاء والقدم الصغيرة، لها أهمية فائقة، فالتقاليد الصينية - التي تنتمي إليها الحكاية الأصلية، في رأيه - تربط الفتنة الجنسية للمرأة، بصغر حجم قدمها. إذ كلما كانت قدم الفتاة أصغر حجماً كان سحرها الجنسي أكبر، ولذا نجد أنّ التقاليد الصينية تجعل الفتاة منذ طفولتها تنتعل حذاء حديدياً لا تخلعه، حتى تُحافظ على قدمها صغيرة لا تكبر. بينما سندريلات مسقط لا يحاولن افتتان رجل ما أو أمير، ولا يبدو الرجل خصما لدودا في حكاياتهن كما يحصل غالبا. إنّ لهن غالبا حكايات عادية ويتبدى البؤس في التفاصيل الصغيرة منها. علينا ألا ننسى الدور الرمزي الذي يلعبه اسم سندريلا. ففي تصور شارل بيرّو كلمة سندريلا تحيل لـ «فتاة الرماد»، وعند الأخوين غريم تعني فتاة المطبخ الوضيعة والقذرة. الخادمة بكل اختصار. سندريلات مسقط مُمتلئات أيضا برماد الحياة ومتاعبها، لذا تغدو السهرة التي يخرجن إليها، هي الفسحة المُمكنة لتوديع كل الأسى وإطلاقه.

ولذا فهن يتفقن مع السندريلا الأصلية لأنّهن ينشدن الخلاص، ولكن يختلفن معها لأنهن يعرفن جيدا أن السبيل إلى ذلك ليس بالضرورة أن يرتبط بالبحث عن أمير. إنّهن لسن جميلات ومُتحولات إلا لأجل أنفسهن هذه المرّة.

زواج السندريلا الأصلية من أمير هو الذي يُعيدُ لها مكانتها الحقيقية بعد ظلم العمّة وابنتيها، في حين أنّ الحكي وإطلاق الأسرار هو ما يعيد التوازن لحياتهن.

ثماني سندريلّات متأهبات للتحول والحكي الذي يمتد حتى تدق الساعة الثانية عشرة ليلا، حيث يغدو الحكي هو المعادل الموضوعي للشعور بالخفة والتغلب على آفة النسيان. كما أنّ الطباخ «رامون» هو المعادل الموضوعي للإصغاء الذي يفتقدنه.

يحدث كل هذا ضمن طقوس العشاء الشهريّ، حيث يتسنى اللقاء بين ثماني نساء هاربات من البيت والأزواج والأعمال التي لا تنتهي. فتحكي خلاله كلُّ منهنّ تجربتَها ومأزقَها ومخاوفَها وصراعاتها. إنّها الحكايات العادية والبسيطة كماَ تبدو من الخارج وهي في الوقت نفسه بالغة الإيذاء، وكثيرا ما تتسبب في تدميرهن. السندريلات لسن كما يبدو لنا، أنيقات وجميلات وبالغات الرقة، إنّهن متحولات وحسب، وهن في بيوتهن شيء آخر تماما.

كنتُ أنحاز لنساء يرغبن في تغيير «الشرط الاجتماعي»، نجحن أم لا، ذلك شأن آخر. ولكنهن على الأقل يرغبن بذلك بقوة، ولا يعني ذلك أن الرجل مُهمش ومقموع هنا، ولكنها ليلتهن، وليست ليلته، وإن عبر خافتا في نسيج الحكايات إلا أنّه لم يكن عدوا لدودا. لقد كان متلونا وكنّ متلونات.

كنتُ أعرف سلفا الضجيج الذي يمكنُ أن يُحدثه الشكل أو القالب الذي اخترته لسكب عوالم السندريلات، ولكني كنتُ أقول في نفسي ما كان يقوله كواباتا: «يكفي غصنُ شجرة، إذا كان مرسوما بإتقان، لكي يُسمع صوت الريح». وهذا ما كنتُ مُنشغلة به تماما صوت الريح.

شهادة قُدمت في جمعية الكتاب والأدباء احتفاءً برواية «سندريلات مسقط»، إلى جوار ورقة نقدية للدكتور أحمد يوسف.

جديد إصداراتنا

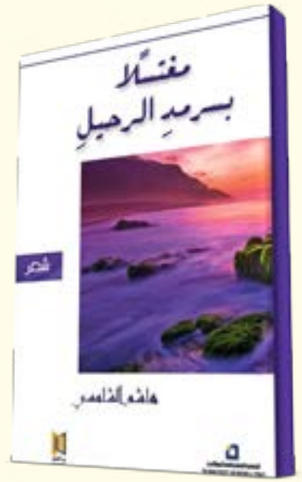

مغتسلا بسرمد الرحيل

صدرت حديثا عن مؤسسة بيت الغشام المجموعة الشعرية الجديدة (مغتسلا بسرمد الرحيل) للشاعر هاشم الشامسي. المجموعة تقع في ١٢٧ صفحة من القطع الصغير، وقد اشتملت على عشرين نصا شعريا منها: (لي درب) و(هبة الفجر) و(الشجرة العتيقة) و(امرأة من الجبال) و(عزلة) و(كناي ينبعث من نسيم الليل) و(نورس يطرق نافذتي) و(مطر يلهو) و(عصافير الحلم والبكاء) و(صخب فوق التلة) و(البيت من زجاج)، وغيرها من النصوص الشعرية التي تنحاز إلى قصيدة النثر، تناولت هواجس الإنسان وأسئلة الوطن والوجود والحب والمرأة، عبر لغة هلامية مراوغة تنحت صورها من الواقعي والمعيش اليومي. يقول الشاعر في قصيدة (مغتسلا بسرمد الرحيل) التي حملت عنوان المجموعة:

حين أشرعتُ نافذةَ قلبي
كانت تلالُ أمواجٍ تُلاحِقُني
راياتُها تزنر فوقَ قلبي
كأنها بيارق ألمٍ في الروح .

* * *

جئتُ متدثراً بدفقٍ
من ألم الحُب
كَعاشقٍ يتجهُ نَحو حَتفِهِ

* * *

لَكِنَّ غيومَ الصمت
تمنحُني موسيقى الدهشة
الساكنةَ في قَلبي
كسكون جبلٍ أشهبَ عند الفجر.

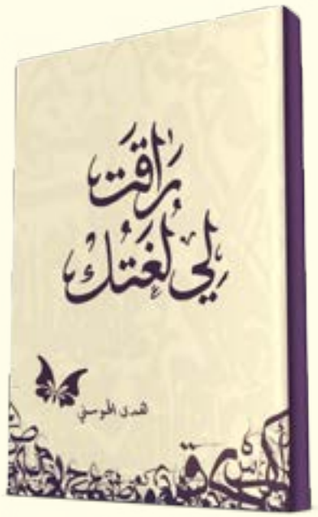

راقت لي لغتك

من إصدارات بيت الغشام الحديثة كتاب (راقت لي لغتك) للكاتبة هدى الحوسنية، الذي يجمع بين دفتيه ما كتبته المؤلفة عن اللغة العربية وأهميتها كبعد حضاري وثقافي ودورها في الحفاظ على هوية المة ووحدتها، وهو ما عززته الكاتبة بالكثير من الشواهد والاستدلالات لأدباء ومفكرين ومستشرقين وباحثين في هذا المجال. الكتاب يقع في ٨٨ صفحة من القطع الصغير.

تقول الكاتبة: «أيها المحبُّون حقًّا للغة العربية: كم قصرت هممنا وتباعدت آمالنا، واشتغل الأكثرون بالحطام من الدنيا، غاب عنا الحب وإن ادعيناه، ونسينا الواجبات، نتحدث عن اللغة العربية وقدرها وقيمتها ومعنى الحياة فيها لكن لا ترى جادًا في طلب العلم ولا صادقًا في الكلام إلا من رحم الله وإني لأول المقصرين فمتى يبين في الأفق البعيد بصيصٌ من نور الحب والجهد لها؟ فالحب نشاط إيجابي وطاقة عاملة وروحٌ صادقة.

* * *

اللغة العربية..
حارسةُ حرف ميلادي
والتوقيت الأجمل لنطقي
أنت رُوزْنامة عمري
ولَفيفُ نفسي وكياني
وهدي عقلي
ورفيف أفكاري

نقش الضوء

من بين الإصدارات الحديثة لمؤسسة بيت الغشام كتاب (نقش الضوء: حوارات في الأدب والفن)، من إعداد وكالة الأنباء العمانية، وهو يضم باقة مختارة من الحوارات والتقارير التي دأبت وكالة الأنباء العمانية على بثّها في سياق اهتمامها بتتبّع الحراك الثقافي المحلي بتجليّاته المختلفة، وحرصها على تقديمه إعلاميًا بما يليق به وبمخرجاته التي تؤشر على تجذّر الفعل الثقافي في السلطنة وتنوّعه وديمومته.

وقد جاء في مقدمة الكتاب: يجيء صدور هذا الكتاب ليعبر عن الدور الذي تؤدّيه وزارة الإعلام في نشر الثقافة العمانية والترويج للإنتاج الإبداعي العماني على كافة الأصعدة. ويشتمل الكتاب على ٢٥ حوارًا وتقريرًا ثقافيًا تُبرز إنجازات وأفكار ورؤى كوكبة من المبدعين العمانيين من مختلف الأجيال اذ يتواجد فيه المفكر والباحث والمحقق والناقد والفقيه والأكاديمي، والشاعر، والقاص، والروائي، والمترجم، والكاتب، والإعلامي، والفنان التشكيلي، والمصور الفوتوغرافي.

ويكشف مضمون الكتاب عمّا تتسم به الحركة الثقافية العمانية من تفاعلية وتجدّد، وعن متطلبات المعاصرة التي تضمن التمسك بالموروث والفهم العميق لثقافة التسامح وتقبّل الآخر والانفتاح عليه وتكريس القواسم المشتركة لإعلاء قيم الإنسانية.

كما يكشف الكتاب عن المستويات المتقدمة التي بلغها مبدعو السلطنة الذين أكدوا حضورهم الفاعل واللافت على المستويين العربي والإقليمي وليس أدلّ على ذلك من فوز كثيرين منهم بجوائز عربية ذات قيمة اعتبارية ومشاركاتهم الفنية في التظاهرات الفكرية والثقافية والأدبية والفنية، العربية والدولية على السواء.

من واقع الحياة

صدر حديثا عن بيت الغشام كتاب(مواقف من واقع الحياة) للكاتب حمود بن عامر بن ناصر الصوافي، الذي يشتمل على مواقف رصدها الكاتب تحكي شيئا من تفاصيل عيشنا، وقد تنبئنا عما يجدر بنا فعله أو تغييره اتجاه ذواتنا وواقع حياتنا، وفقا لما يقول المؤلف في مقدمة الكتاب .ويضيف المؤلف: قد تقول: ما تفيدنا مواقفك وقصصك، وهي تخصك وحدَك دون غيرك، وما دخلها في تغيير العالم، وانتشالنا من التخلف والفقر، والكسل والتكلس والجمود؟

ربما لأنني أعيش بينكم، وما يجري علي من أقدار وأسباب قد يجري عليكم، لذلك ستتحد الأفكار، وتتقارب الرؤى، وتتوافق الحلول؛ لأننا أمة واحدة، ذات منبت واحد. كما أن الجراثيم والفايروسات والحشرات المؤذية تتكاثر في البرك الآسنة، والمستنقعات الراكدة لذلك كانت القصص مادة محرّكة ومغيّرة لطعم المياه وريحها، فيكفي أن يلامس شعور الطموح نفسك لتفجّر طاقاتك في مختلف العلوم.

ويستطر المؤلف قائلا: «وقد تقول بعد قراءتك لمضمون كتاب (مواقف من واقع الحياة) إنها خطوة مثالية لمعرفة الخلل والنواقص، وفرصة لتمييز العادات والأفعال، ومنحة لاستجلاء الأمور، واستشراف المستقبل بل قد تسمي هذه القصص تاريخا، والتاريخ يُأخذ منه العبر والعظات».

الكتاب يقع في ٢١١ صفحة من القطع الصغير، ويتميز بلغة أدبسية سلسة تحكي مواقف وقصصصا بالغة العمق والأهمية في حياتنا اليومية من شأنها أن تعد دروسا في التعامل والنجاح وبناء الشخصية وتعميق الوعي بشكل عام.